سياسة « العمل العبري »

مع وفاة هرتسل ، بدأت حقبة جديدة في تاريخ الصهيونية اسفرت عن وضع الاسس لعنصرية-صهيونية-« علمانية » ، لا تقل خطورة عن تلك التي سبقتها ، المتخفية وراء قناع الدين . فقد صادف موت هرتسل بداية موجة جديدة من الهجرة اليهودية من روسيا ، استمرت نحو ١٥ سنة (١٩٠٤ — ١٩١٨) وعرفت باسم الهجرة الثانية . وخلال هذه الفترة دخل الى فلسطين نحو ٣٠ الف مهاجر يهودي جديد ، ولكن معظمهم اضطر الى ترك البلد ، خاصة خلال الحرب العالمية الاولى ، بحيث لم يبق منهم هناك مع نهاية الحرب الا نحو ٦ الاف مهاجر .

لعب المهاجرون من ابناء الهجرة الثانية دورا حاسما في تاريخ الحركة الصهيونية في فلسطين وبلورة اكثر من ناحية في عقيدتها وممارستها العنصرية ، وامتد تأثيرهم ليشمل الواقع الاسرائيلي اليوم ، على اكثر من صعيد . فقد كان معظم اولئك المهاجرين من الشباب المتحمس ، الذي قدم من روسيا ، بعد الاضطرابات التي حدثت فيها وقتها وانعدام الاستقرار الذي ساد بسببها ، وهو متأثر بالمبادىء الاشتراكية التي كانت منتشرة في بلده ، وينوي دمج هذه المبادىء بالصهيونية واقامة مجتمع عمالي يسعى الى تحقيق « الصهيونية — الاشتراكية » في فلسطين . ولكن مع وصولهم الى البلد صدمهم الواقع ، اذ ان الحركة الصهيونية كانت تعارض حتى ذلك الوقت القيام بنشاط استيطاني رسمي في فلسطين قبل حصولها على ضمانات دولية لذلك ، ولم تكن في الوقت نفسه تملك الامكانات المالية الكافية لدعم مثل هذا الاستيطان ، حتى ان ارادت ذلك . واما المستوطنون القدامى فقد رفضوا استخدام اولئك المهاجرين كعمال في مزارعهم ، بدل العمال العرب ، لانهم لم يكونوا يتقنون القيام بالاعمال الزراعية مثل العمال العرب اولا ، بينما يطالبون بأجر يفوق اجر اولئك العمال ثانيا . ولم يمر وقت طويل حتى ادرك المهاجرون الجدد ان عليهم الاعتماد على انفسهم ان ارادوا البقاء في فلسطين ، وايجاد السبل الكفيلة بتأمين ذلك .

وفي محاولاتهم لتأمين وجودهم في فلسطين ، او لتبريره ، اكتشف المهاجرون الجدد اكثر من طريقة ، كانت احداها اقامة المزارع الجماعية الخاصة بهم ، كالكيبوتس والموشاف وغيرها ، وذلك كحجر اساسي لاقامة المجتمع الصهيوني — الاشتراكي الذي تطلعوا اليه . وفي الوقت نفسه ، ومن خلال التجربة التي مروا بها ، وخاصة رفض المستوطنين القدامى استخدامهم وتفضيل العمال العرب عليهم ، ومن خلال سعيهم الى تأمين حاجاتهم الاقتصادية ، اتجه اولئك المهاجرون الى وضع الاسس لعقيدة خاصة بهم تبين كيفية تصورهم لبناء المجتمع الصهيوني — الاشتراكي في فلسطين . وملخص هذه العقيدة هو ان الحركة الصهيونية ملزمة بالعمل على ادخال تغيير طبقي على حياة اليهود الذين يفدون الى فلسطين ، وذلك بواسطة نقلهم الى حياة العمل الزراعي المنتج ، بدلا من المهن التي كانوا يتعاطونها في المهجر ، كالتجارة والحرف والمال وغيرها . وهذا التحول ضروري ايضا من ناحية اخرى ، لانه لا يمكن ان تكون فلسطين ملكا لليهود بمجرد استملاك اراضيها من قبلهم فقط ، وانما ينبغي ايضا ان يقوم اليهود انفسهم بالعمل على تلك الاراضي ، وتعاطي جميع الاعمال ، السهلة والشاقة ، عليها : « ارض عبرية » و « عمل عبري » . وبهذا رفع اولئك المهاجرون شعار « العمل العبري » ، الذي وضع ولا شك لتأمين حاجاتهم الاقتصادية ايضا ، الى مرتبة مبدأ اساسي ينبغي على الحركة الصهيونية الكفاح من اجل تحقيقه ، مهما كلفها ذلك من خسائر مادية ومعنوية ومن توتر للعلاقات بين اليهود والعرب في فلسطين ، بسبب الاجراءات